النقد القرآني للعقائد الدّينيّة المخالفة للإسلام «العقائد المسيحيّة أنموذجا»

بقلم

أ. إسماعيل عريف(*)

ملخص

تبحث هذه الورقات في العقائد المسيحيّة ومدى مصداقيتها في القرآن الكريم؛ الذي شنَّ حربًا شعواء على تلك العقائد، إذ انتقدها نقدًا لاذعًا لا هوادة فيه؛ لأنّها تخالف المنهج الرّبّاني الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين، فلم يترك رُكنًا من أركانها إلاّ وفنّده ودحضه بالحجج الدّامغة ومنطق العقل السّليم، وفي هذا الشّأن كفّر القائلين بالتّثليث من المسيحيين وكذا القائلين بألوهيّة المسيح عليه السّلام وبُنوّته لله تعالى ليُقرّر العقيدة الصّحيحة فيه بأنّه مجرّد بشر ورسول، وكذّب اليهود الذين أدّعوْا أنّهم صلبوه وقتلوه؛ فبيّن أنّ مصير عيسى عليه السّلام كان الرّفع الذي به نُجّيَ من كيدهم وتبعا لذلك بَهَتَ عقيدة القيامة أيضًا، وفي سياقٍ عام وعند حديثه عن المسؤوليّة الفرديّة دحض القرآن الكريم عقيدة الخلاص والفداء التي هي عماد الدّيانة المسيحيّة؛ فبيّن أنّ كل إنسان إنّما يتحمّل عاقبة أفعاله، وبذلك رسم هذا الكتاب العزيز صورة نقديّة واضحة المعالم تُفصح عن موقفه تجاه عقائد المسيحيين.

الكلمات المفتاحية: القرآن، العقيدة، المسيحية، الإسلام، النقد.

المقدّمة

طَرَقَ القرآن الكريم موضوع العقائد الدّينيّة من نواحٍ شتّى، ولعلّ أهمّ وأكثر تلك النّواحي التي أَوْلاهَا هذا الكتاب تركيزا "الجانب النّقدي"؛ لأنّ مُعظم العقائد المعروضة فيه تُخالف العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة التي إرتضاها الله لعباده، فكان من المنطقي أن يستخدم هذا المنهج على نطاق واسعٍ في آياته وسُوره، وذلك في سبيل تثبيت العقيدة الحقّة التي تستقيم والفطرة

(*) أستاذ مساعد متعاقد بقسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي.

الإنسانيّة السّويّة والسّليمة، بتقرير مبادئها وتعاليمها والدّفاع عنها تارة، ودَحْضِ ما سواها من عقائد مزيّفة تارة أخرى، وقد أوْرِدَ القرآن الكريم عدّة إنتقادات لجملة من العقائد الدّينيّة وفي طليعتها العقيدة المسيحيّة؛ والتي سنبيّن طريقة انتقادها في القرآن الكريم من خلال هذه الورقات، وذلك ببحث إشكاليّة مفادها: كيف نقد القرآن الكريم العقائد المسيحيّة؟

قبل أن نخوض غمار النّقد القرآني للعقائد المسيحيّة، يجب أن نتكلّم عن حقيقة واضحة في القرآن الكريم؛ وهي أنّ هذا الكتاب العزيز عندما تحدّث عن المسيحيّين أو بالأحرى النّصارى، إمْتدحَهم من النّاحيّة الأخلاقيّة وذمّهم من النّاحيّة العقائديّة، فأمّا النّاحيّة الأولى فيكفي أن نُمثّل لها بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، وأمّا النّاحيّة الثّانية فستتحدّث عنها بالتّفصيل في هذا المقال.

أوّلا- ضبط المصطلحات:

1- النّقد القرآني: المقصود بالنّقد القرآني في هذا المقام؛ ذلك التّمحيص القرآني القائم على تفنيد بعض الادّعاءات ودحْضِها وبيان زَيْفها وانحرافها، وهو منهج ربّانيٌّ يبحث في أعماق المسائل والقضايا الإنسانيّة والاجتماعيّة ذات التّوجّه العامّ من النّاحيّة النّقديّة.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنّ هذا النّقد الوارد في القرآن الكريم ليس الغرض منه مجرّد النّقد أو النّقد لأجل الحطّ من مكانة الخصم أو السّخريّة منه أو الاستهزاء به، بل الغاية منه تبصير المنحرفين بانحرافهم وفهمهم الخاطئ، وتقويم السّلوكيات الزّائغة الخارجة عن الحقّ وِفق ما يرتضيه الله لعباده.

2- العقائد الدّينيّة: العقائد الدّينيّة هي "الأمور [الدّينيّة] التي تُصدِّق بها النّفوس، وتطمئنُّ إليها القلوب، وتكونُ يقينا عند أصحابها، لا يُمازجُها ريْبٌ ولا يُخالطُها شكٌّ"[2]. وقد ضبطناها بكونها مخالفة للإسلام؛ لنُخرِج العقيدة الإسلاميّة من طائلة هذا النّقد، وبناء على ذلك فإنّ العقائد الدّينيّة المخالفة للإسلام تشمل عقائد اليهود والمسيحيين والمجوس والبوذيين والهندوسيين والدّهريين والطّبيعيين والمشركين والوثنيين وغيرها... .

3- العقائد المسيحيّة: العقائد المسيحيّة هي المبادئ والأفكار والتّعاليم التي يعتقد فيها المسيحيون ويؤمنون بها إيمانا جازما؛ فهي قضايا ومسائل دينيّة إلهيّة ربّانيّة يجب التّسليم بها من كلّ قلبٍ بصدق[3]، ويُمكن إجمال العقـائد المسيحيّة في أربعة أركان هي: عقيدة الألوهيّة، وعقيدة الصّلب، وعقيدة الفداء والخلاص، وعقيدة القيامة، وجميعها مُرتبطة بشخص المسيح عليه السّلام.

ثانيا: المنطلق القرآني في نقد العقائد الدّينيّة:

إنّ الأساس الذي ينطلق منه القرآن في هذا النقد هو التصور لأحقية الدّين الإسلامي وصحّته، وأنّ كلّ ما خالفه من الأديان الأخرى باطل، وأنه هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرّية جمعاء فلا يُقبل التّديّن بأيّ دين سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ...﴾[4]، وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[5]، وصدع بهذه الحقيقة في كثير من الآيات، فقال مُبيّنًا تفرّد الطّريق الذي يجب أن يسلكه جميع الخلق والذي لا يجوز لهم الحياد عنه، بل جعل ذلك وصيّة خالدة لهم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6].

وقد انتقد القرآن تلك العقائد الباطلة؛ لأنّ أصحابها غيّرُوا وبدّلوا الرّسالة التي جاءهم بها أنبياؤهم وحرّفوها لتتوافق مع أهوائهم، فحادوا عنها، واستبدلوها بما هو أدنى منها من شتّى النّواحي، فقصّ الله عزّ وجلّ علينا أخبارهم مع هذه الحياة الجديدة التي ألفوها، منتقدًا لعقائدهم وأفكارهم وشرائعهم المحرّفة والمائلة عن المنهج الرّبّاني المستقيم الذي أساسه الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثالثا- نقد عقيدة الألوهيّة:

ناقش القرآن الكريم هذه العقيدة وانتقدها من جميع وجوهها ومظاهرها عند المسيحيين؛ فاستوجب ذلك منه الحديث عن التّثليث ومكوّناته كألُوهيّة المسيح وبنوّته لله تعالى.

1 – ماهيّة التثليث:

أ- مفهومه: التّثليث عند المسحيين هو اعتقادهم بـــوجـود ثلاثة آلهة وإيمانهم بها؛ الأب والابن والرّوح القدس، وهذه الأقانيم الثّلاثة هي التّشكيلة الأساسيّة للثّالوث المسيحي؛ الذي يُعتبر رُكنا محوريًّا في العقيدة المسيحيّة؛ فالطّوائف المسيحيّة على إختلاف مذاهبها تعتقد في التّثليث عقيدة أساسيّة ومذهبا قويما لا يُمكن الحِياد عنه أو تجاهله أو الخروج عن طريقه.

ب- مكوّناته: التّثليث مكوَّنٌ من ثلاثة أقانيم، هي[7]:

الأب: وهو الأقنوم الأوّل، ويظهر من خلال قانون الإيمان المسيحي، أنّه واحدٌ ضابط الكلّ، وخالق كلّ شيء.

الابن: وهو الأقنوم الثّاني في الثّالوث المسيحي، وقد وُصِف في قانون الإيمان بأنّه ابنٌ وحيدٌ للأب، وإله حقّ من إله حق، ونورٌ من نور، ومن أجله خُلق كلّ شيء.

الرّوح القدس: وهو الأقنوم الثّالث المكمّل للثّالوث المسيحي، وقد سُمّي روحا؛ لأنّه مُبدع الحياة، ودُعِي قُدّوسا؛ لأنّ من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن، ويُسمّى: روح الله وروح المسيح.

وينبغي أن نشير في هذا الصّدد أنّ عقيدة التّثليث لم تنشأ عند المسيحيين دفعة واحدة، بل إنّها

تبلورت عندهم في القرن الرّابع الميلادي، فقد أقرّ مجمع نيقية في سنة 325م ألوهيّة المسيح عليه السّلام، وأقرّ مجمع القسطنطينيّة الأوّل سنة 381م ألوهيّة الرّوح القدس ليتمّ بذلك بناء أركان التّثليث الثّلاثة[8].

ويستند المسيحيون للاستدلال على هذه العقيدة إلى ما جاء في كتابهم المقدّس من نصوص إنجيليّة تدعم التّثليث وتُؤصّل له معرفيّا، من ذلك ما ورد في إنجيل متّى على لسان يسوع المسيح وهو يوصي بالتّبشير والتّعميد: [فَاذْهَبُواْ وَ تَلمِذُواْ جَمِيعَ الأُمَمِ، وَ عَمِّدُوهُم بِاسْمِ الأَبِ والابْنِ وَالرُّوحِ القُدسِ][9]، وما ورد أيضا في إنجيل لوقا: [الرُّوحُ القُدس يَحِلُّ عَلَيْكَ وقُوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُكَ لِذَلِكَ القِدِّيسِ المَوْلُودِ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللهِ][10]، وما جاء كذلك في رسالة يوحنّا الأولى: [والّذين يَشْهَدُونَ في السَّماءِ هُمْ ثَلاثَةٌ، الأب والابن والرّوحُ القُدس، وهَؤلاءِ الثَّلاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ][11]، فانطلاقا من هذه النّصّوص وغيرها الموجودة في العهد الجديد آمَنَ المسيحيون بعقيدة التّثليث "على الرّغم من أنّ الكتاب المقدّس لا يشتمل على لفظ الثّالوث أو لفظ الأقانيم، ولكنّهم يحتجّون لذلك بأنّ تعليم الثّالوث مطابق لنصوص في هذا الكتاب؛ فيقول المعلّم بطرس البستاني: [ومع أنّ لفظة (ثالوث) لا تـوجد في الكتاب المقــدّس، ولا يمكن أن يُؤتى بآية من العهد القديم تُصرّح بتعليم الثّالوث، فقد اقتبس المؤلّفون المسيحيّون القدماء آيات كثيرة تُشير إلى وُجودِ صورة جمعيّة في اللّاهوت]"[12].

والتّثليث المسيحي عقيدة مخالفة لعقيدة المسيح التّوحيديّة التي بُعث بها إلى بني إسرائيل؛ والتي مفادها الإيمان بالله وحده، وتنزيهه عن كلّ ما لا يليق بجلاله وعظمته، وعدم الإشراك به، فهو وحده الخالق والمدبّر والرّازق، ليس له ندٌّ ولا شريك، بل هو واحدٌ في ربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته؛ فلمّا حاد عنها المسيحيون واستبدلوها بعقيدة التّثليث انتقدهم القرآن الكريم انتقادا لاذعا.

ج – طبيعته: اختلف المسيحيون حول تصوّراتهم لأقانيم الثّالوث، هل هي منفصلة متمايزة أو متّحدة متداخلة؟ فتشكّل من هذا الاختلاف رأيان أو اتّجاهان كبيران، يُمثّل الكاثوليك الطّرف الأوّل منهما، ويمثّل الأرثوذكس الطّرف الآخر[13].

فالكاثوليك –ويتبعهم في ذلك البروتستانت – يعتبرون أركان الثّالوث ثلاث شخصيّات أو ثلاث ذوات لكلّ منهم مهام منفصلة، وترجع إلى ذات واحدة موجودة في الأزل، ويَرَوْن لكلّ أقنوم وظيفة واختصاصًا، فيُسنِدون للأب خلق العالم والمحافظة عليه، وللابن كفّارة الذّنوب وتخليص البشر، وأمّا الرّوح القدس فيتولّى تثبيت قلب الإنسان على الحقّ، وتحقيق الولادة الرّوحيّة الجديدة[14]، وتُسمّى الأقانيم عندهم – وفقا لهذا الاعتبار – بأقانيم التّعدّد[15].

والأرثوذكس يعتقدون أنّ الله واحد، وقد نزل من السّماء وحلّ في بطن مريم العذراء، وخرج

بعد تسعة أشهر طفلا هو يسوع المسيح، ثمّ كبُر، ولمّا بلغ الثّالثة والثّلاثين -تقريبا - قُتِل، ثمّ صعد إلى السّماء كما كان، وقبل حلول الله في البطن يُسمّى أقنوم الأب، وبعد خروجه منه يُسمّى أقنوم الابن، وبعد قتله وصعوده يُسمّى أقنوم الرّوح القدس، فالأقانيم على مذهبهم مراحل لذات واحدة، وتُسمّى أقانيم التّجسّد[16].

2 - نقد القرآن لعقيدة التثليث:

ناقش القرآن الكريم عقيدة التّثليث التي يُؤمن بها المسيحيون إيمانا جازما من طريقيْن اِثْنيْن؛ طريق مباشر خاصٌّ بالمسيحيين رأسًا، وذلك بتوجيه الخطاب لهم من دون النّاس للرّدّ عليهم بخصوص هذا المعتقد جملة وتفصيلا، وطريق آخر غير مباشر جاء في معرض الحديث عن وحدانيّة الله بصفة عامّة.

فأمّا الطّريق المباشر ومن النّاحيّة الإجماليّة؛ فقد كفّر الله عزّ وجلّ القائلين بالتّثليث ؛ ليُبيّن لهم خطأ معتقدهم وغلطهم الجسيم فيه، فقال جلّ ثناؤه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُواْ إِنّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلاّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُواْ عَمّا يَقولُونَ لَيَمَسّنَّ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم. أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[17]، قال ابن كثير مفسّرا لهذه الآية بعد أن ذكر أوجه الاختلاف حول الطّائفة المرادة منها: "والصّحيح أنّها أُنزلت في النّصارى خاصّة، قاله مجاهد وغير واحد، ثمّ اختلفوا في ذلك فقيل: المراد بذلك كفّارهم في قولهم بالأقانيم الثّلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرا، قال ابن جرير وغيره: والطّوائف الثّلاثة من الملكيّة واليعقوبيّة والنّسطوريّة تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا ليس هذا موضع بسطه، وكلّ فرقة منهم تكفّر الأخرى، والحقّ أنّ الثلاثة واحدة، وقال السّدّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمّه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار "[18].

وقال فيهم أيضا: ﴿ ... وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ اِنْتَهُواْ خَيْرًا لَكُمْ إِنّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا ﴾[19]؛ أي لا تجعلوا عيسى وأمّه مع الله شريكيْن، ذلك أنّ النّصارى من جهلهم ليس لهم في مسألة الألوهيّة ضابط ولا لكفرهم حدٌّ، فمنهم من يعتقد عيسى عليه السّلام إلها، ومنهم من يعتقده شريكا للإله، ومنهم من يعتقده ولدا له، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلّمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النّصارى لافترقوا على أحد عشر قولا، لذلك أخبرهم الله عزّ وجلّ بأنّ الكفّ عن هذه المقالة هو خير لهم؛ لأنّه سبحانه إله واحدٌ تقدّس وتعالى اتّخاذ الولد، والجميع مُلكه وخلقه، وجميع من في السّماوات والأرض عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو عليهم

وكيل، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد[20].

وتفصيلا، دحض الله عزّ وجلّ اعتقاد المسيحيين في كلّ أقنوم من أقانيمهم؛ وبيان ذلك:

بالنّسبة لأقنوم الأب، بيّن جلّ ثناؤه أنّ الله عزّ وجلّ لا يمكن أبدًا أن يُوصف بالأبوّة؛ لأنّه لم يتزوّج قطّ، وما كان له أبناء ولا أولاد، فقال عزّ من قائل: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...﴾[21]، وقال أيضا: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾[22]، وقال أيضًا: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ... ﴾[23]، وقال أيضا: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العابِدِينَ ﴾[24].

وبالنّسبة لأقنوم الابن، بيّن الله عزّ وجلّ ضلال المسيحين وخطأهم في اعتقادهم بأنّ عيسى عليه السّلام هو ابن الله، وأنّهم في ذلك تَبعٌ لغيرهم من الكفّار القائلين بمثل مقالتهم، فقال تعالى: ﴿...وقَالَتِ النَّصَارَى المسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[25]، ولأنّ هذا القول إنجرّ عنه قول هو أخطر منه، يتمثّل في الاعتقاد بألوهيّة المسيح عليه السّلام باعتباره ابنًا لله، فإنّ الله عزّ وجَلّ كفّر القائلين بذلك، فقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُواْ إِنّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اُعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[26]، ففي هذه الآية كفّر الله جلّ ثناؤه فريقا من النّصارى قالوا بألوهيّة المسيح، بشبهة أنّه خرج من أُمّ بلا أب وخالف المعهود من الخلقة الإلهيّة، والحال أنّه عليه السّلام كذّبهم في هذه الدعوى، فأثبت لنفسه العبوديّة التّامّة ولربّه الرّبوبيّة الشّاملة لكلّ مخلوق، مذكّرا إيّاهم بأنّ أيّ أحد من المخلوقين يشرك بالله؛ فيسوّي الخَلْق بالخالق، أو يصرف ما خلقه الله لأحد خلقه؛ وهو العبادة الخالصة لغير من هي له، فمصيره النّار، التي سوف يخلد فيها، ولن يجد من ينقذه منها[27]. لأنّ مثل هذا القول يؤدّي إلى اختلال المفاهيم وقلب الحقائق، وبه يحقّ الباطل ويبطل الحقّ، ويدعو إلى الشّرك والفسوق، ويفتح الباب على مصراعيه لولوج الدّعوات الهدّامة إلى أوساط الشّعوب والأمم، فتنتشر الوثنيّة وعبادة الأصنام والتّماثيل والأوثان؛ لذلك فنّد القرآن الكريم قول المسيحيين الدّاعي إلى أنّ الله يشترك معه في تدبير هذا الكون وتصريف الأمور إلهان آخران، والكلّ يُدعَى ربًّا خالقا مُدبّرا حكيما، حتّى لا يكون هذا الأمر مَدْعَاةً إلى الانحلال العقائدي؛ الذي يُفضي بدوره إلى الإلحاد وإنكار الإلهيات والنّبوءات.

كما تتجلّى هذه الحقيقة المتمثّلة في كون عيسى المسيح ليس إلها من دون الله، في رَدِّهِ عليه السّلام على الاستفهام الإلهي المستفسر عن حقيقته وأمّه، وذلك في قوله تعالى في أواخر سورة المائدة: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[28].

ودحضًا للقول بألوهيّة المسيح، أثبت الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السّلام العبوديّة والنّبوّة، وأخبر أنّه بشرٌ كسائر البشر، تجري عليه أحكامهم، ويتعرّض لما يتعرّضون له، ويأكل كما يأكلون ويشرب ممّا يشربون، فقال عزّ وجلّ في حقّه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيل ﴾[29]، وقال أيضا: ﴿ مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[30]، وقال أيضا على لسان المسيح عليه السّلام: ﴿ وإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ... ﴾[31]، وقال عنه كذلك: ﴿ ورَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللهِ وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[32]، وقال مُعلنا عن موقف عيسى من العبوديّة لله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله... ﴾[33]، وقد كان أوّل ما نطق به المسيح عليه السّلام -بحسب النّصّ القرآني -؛ هو الإقرار بالعبوديّة لله تعالى والتكلّم بالنّبوّة، قال الله عزّ وجلّ على لسان عيسى عليه السّلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ءَاتَانِيَ الكِتَابَ وجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[34]، وتدلّنا هذه الآية على أنّ أوّل شيء تكلّم به عيسى عليه السّلام تنزيه جنابِ ربّه تعالى، وتبرئته من الولد، وإثبات العبوديّة له، وقد قال المسيح هذا الكلام عندما سمع اليهود يتّهمون أمّه بالفاحشة، وكان حينها يرضع ثدي أمّه، فلمّا سمع ما قالوا، نزع الثّدي من فمه، واتّكأ على جنبه الأيسر وقال ما قال، وقيل: أنّه رفع إصبعه السّبّابة وهو يقول هذا القول[35] الدّاحض والمفنّد لمعتقد المسيحيين في ألوهيّته وبنوّته لله تعالى عليه السّلام، لذلك لم يرد ذكرٌ البتّة لمعجزة تكلّم المسيح في المهد في الأناجيل الموجودة لدى المسيحيين الآن؛ لأنّ ذلك يهدم عقائدهم من الأساس.

وبالنّسبة لأقنوم الرّوح القدس؛ وهو ملك الوحي جبريل عليه السّلام، فإنّ القرآن الكريم اعتبره ملكا من الملائكة الأبرار، وفوّضه حمل رسالة الوحي ليكون سفيرا بين الله عز وجلّ وأنبيائه، ولم يُخبر عنه بأنّه كان إلها ولا أنّه ذو طبيعة إلهيّة، بل هو مَلَكٌ كسائر الملائكة وإن فُضِّل عليهم بالمهمّة التي كُلّف بها، فقال تعالى في حقّه: ﴿ قُلْ نزّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الذِينَ ءَامَنُوا وهُدًى وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[36]، وقال أيضا: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وهُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[37]، وبهذا يتهلهلُ زعم المسيحيين في روح القُدُس باعتباره أحد الآلهة الثّلاثة.

وأمّا الطّريق غير المباشر في نقد عقيدة التّثليث، فيتمثّل في الدّعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ

المنافي للشّرك، وعبادته وحده سبحانه وطاعته، وأنّه لا إله غيره ولا ربّ سواه، وقد ورد ذلك في سبيل السّياق العام؛ أي أنّه لم يرد بشأن المسيحيين فقط، فقال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾[38]، وقال أيضا: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[39]، وقال أيضا: ﴿ أَمِ اتَّخَذُواْ آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ. لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[40]، وقال أيضا: ﴿ وَإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرّحمَنُ الرّحيم ﴾[41]، وقد تكرّرت دعوة الأنبياء لأقوامهم إلى توحيد الله، وأنّه لا إله غيره[42]، وتأكيدا لهذا المعنى تكرّرت جملة "هُوَ اللهُ الّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ"[43] في آخر سورة الحشر؛ لتبرهن على أنّ الله هو الإله الذي لا إله غيره، سبحانه وتعالى، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، وهذا ما يُنافي تماما الثّالوث المسيحي.

وقد سجّل القرآن الكريم أنّ التّوحيد هو الأساس في الدّيانات السّماويّة كلّها؛ فإبراهيم أبو الأنبياء عليه السّلام قامت رسالته على التّوحيد، وقبله نوح وهود، وكذلك لوط وإسحاق ويعقوب وشعيب ويوسف وموسى وعيسى، وكلّ هؤلاء دعوْا إلى التّوحيد وكان قوام رسالاتهم، فقال تعالى في بيان وحدة الرّسالة الإلهيّة القائمة على التّوحيد: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا والّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ومَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[44]، والدّين الذي طلب الله تعالى إلى أنبيائه أن يُقيموه، ولا يتفرّقوا فيه، وهو ما كبُر على المشركين أن يدعوهم إليه، هو التّوحيد لله سبحانه وتعالى، وهو الذي تفرّق فيه الذين أورثوا الكتاب الذي جاءت به أنبياؤهم، وأثاروا الشّكّ حوله بأوهام سيطرت عليهم، وأفكار ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان[45].

والوحدانيّة التي قرّرها القرآن الكريم لها أركان ثلاثة أو نواحٍ ثلاث، كلّ ناحيّة تُشير إلى حقيقة ثبتت من القرآن الكريم، فقد أثبت هذا الكتاب أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، وأنّه وحده هو المُنشئ، وأنّه وحده بديع السّماوات والأرض؛ وهذه هي وحدانيّة التّكوين والإنشاء[46]، وكلّها منافيّة لتثليث المسيحيين.

وأيّا كان الأمر، فإنّ النّاظر في القرآن الكريم، لا يكاد يفتحه إلاّ وقد وقع بصره على "بسم الله الرّحمن الرّحيم"، فباسمه تعالى يحدث كل شيء في الحياة، لا بسم الأب والابن والرّوح القدس، فبالبسملة إفتتح الله عزّ وجلّ كتابه الكريم، ليردّ على المسيحيين الذين يفتتحون صلاتهم بما يخالف المعنى الذي إشتملت عليه البسملة؛ فيقولون: "أَبَانَا الّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدّس إِسْمُكَ، لِيأتِ مَلكُوتك، لِتَكُنْ مَشِيئتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلكَ على الأَرْضِ، خُبْزُنَا كَفَافُنَا أَعْطِنَا اليَوْمَ، واغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا، ولا تَخْذُلْنَا فِي تَجْرِبَتِهِ، ولَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير، آمين"[47]،

فشتّان بين الصّيغتين؛ لأنّ بينهما اختلافا بيّنًا وبوْنا شاسعا، فيما يخصّ توحيد الله عزّ وجلّ وتنزيهه[48]، وبناءً على هذا، فإنّ القرآن الكريم يدحض عقيدة التّثليث بل يهدم أساسها ويُفنّدها كلّيًا في أوّل آية من آياته.

رابعًا- نقد عقيدة الصّلب: الصّلب كما التّثليث، عقيدة مسيحية طَالَهَا النّقد في القرآن الكريم؛ لكونها من العقائد المسيحيّة المخالفة لرسالة عيسى عليه السّلام.

1- مفهوم عقيدة الصّلب: يعتقد المسيحيون أنّ المسيح عليه السّلام مات مصلوبًا؛ أي أنّه مات على الصّليب، كما روت ذلك الأناجيل الموجودة بين أيديهم حاليًا[49]، وكانت علّة صلبه فداءُ البشريّة من الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم عليه السّلام، لأكله من شجرة الجنّة التي نهاه الله عزّ وجلّ عن الأكل منها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى ذرّيته، وأغضبت الله عزّ وجلّ، الذي فكّر في حمل الخطيئة على نفسه، ليجدّد صلة المحبّة التي قَطَعَتْ الخطيئة حبلها، فأوجبتْ رحمة الأب أن يُرسل ابنه المسيح لتحمّل العقوبة المستحقّة عن خطايا البشر، وبصلبه تكفيرًا عن خطايا البشر تكتمل مهمّة الابن، وبموته على الصّليب عوّض الله عن الخطيئة التي أوقعها آدم، فالصّلب نُصرة للإله؛ إذ أظهر الصّليب صفات العظمة والرّحمة والمحبّة، ونُصرة للمسيح لقيامه بذلك العمل العظيم، ونُصرة للبشر لخلاصهم من الخطيئة، وتمتّعهم بالفداء الكامل، والشّفاء من داء الخطيئة، ونُصرة للأرض لتطهيرها من اللّعنة التي سقطت عليها، ونُصرة على الشّيطان بطرده من السّماوات إلى الهاويّة المتّقدة بالنّار، وبذلك تمّت المصالحة بين الله والبشر، بالرّغم من كثرة خطاياهم، وافتداهم يسوع المسيح بدمه[50].

والمسيحيّة -في اعتقاد المسيحيين- هي الصّليب، والصّليب هو المسيحيّة، فلا مسيحيّة بدون صليب، فالصّليب هو علامة الإيمان المسيحي، ومركز التّاريخ واللاّهوت، وأمّا سِرّ اختيار إشارة الصّليب فقد أراد منها المسيحيون أن يُحيُوا ذِكرى صلب المسيح عليه السّلام، وما عَانَاهُ من آلامٍ في سبيل تكفير الخطيئة من أجلهم، وهو رمزٌ للتّضحيّة بالشّهوات[51].

وتُعدُّ عقيدة الصّلب أساس العقائد المسيحيّة، فلا يكتمل إيمان أحد منهم إلاّ بها، وهذا هو معتقد جميع الكنائس المسيحيّة في العالم، يقول جوردن مولتمان: "إنّ وفاة عيسى على الصّليب هي عصب كلّ العقيدة المسيحيّة، وإنّ كلّ النّظريات المسيحيّة عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمدُّ محورها من المسيح المصلوب"[52]. وهذا ما يدلّ على أهمّيّة هذه العقيدة في الفكر المسيحي الحديث، بل إنّ الدّيانة المسيحيّة كلّها تقوم على الخلاص الذي ينبع من ذِكرى صلب المسيح، كما أصبح للصّليب مكانة مرموقة عند المسيحيين باتّخاذه شعارا أو رمزًا للدّيانة بأكملها.

2- موقف القرآن من عقيدة الصّلب: إنّ القول بموت المسيح عليه السّلام مصلوبا، أمرٌ خطير جدًّا؛ إذ تترتّب عليه نتائج خطيرة أيضا، وينجرّ عنه قَدْحٌ في شخصيّة نبيِّ الله عيسى عليه السّلام، كما أنّ التّسليم بهذه الحادثة هو اِعتراف بالمعتقد المسيحي في السّيّد المسيح، واعتقادٌ أيضا بخطيئة آدم الموروثة، وقَدْحٌ في العدالة الإلهيّة القائمة على القسط والعدل.

وما دام الأمر بهذه الخطورة، فليس من الهيّن أن يمرّ عليه القرآن مرور الكرام، بل إنّ الله عزّ وجلّ فنّد قول اليهود المتفوّهِ بقتل المسيح عليه السّلام، وأنكر حادثة الصّلب تفنيدا مطلقا واعتبرها كُفْرًا في الاعتقاد وبِدْعًا من القول، فقال في سورة النّساء: ﴿ وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإِنّ الّذينَ اِخْتلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّ اِتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَــلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَـانَ اللهُ عَزِيــزًا حَكِيمًا. وإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[53].

ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ سبب اجتماع اليهود على قتل عيسى عليه السّلام؛ هو أنّ رهطا منهم سبّوه وسبُّوا أُمّه، فدعا عليهم: اللّهمّ أنت ربّي، وبكلمتك خلقتني، اللّهمّ اِلعَن مَن سبّني وسبَّ والدتي، فمسخ الله مَن سبّها قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله[54].

ويقول الرّازي في تفسيره لهذه الآيات: "واعلم أنّه تعالى لمّا حكى على اليهود أنّهم زعموا أنّهم قتلوا عيسى عليه السّلام، قال الله تعالى كذبتم في هذه الدّعوى...واختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وجوها:

الأوّل: قال كثير من المتكلّمين: إنّ اليهود لمّا قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السّماء، فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامّهم، فأخذوا إنسانًا وقتلوه وصلبوه ولبّسوا على النّاس أنّه المسيح، والنّاس ما كانوا يعرفون المسيح إلاّ بالاسم لأنّه كان قليل المخالطة للنّاس.

والثّاني: أنّه تعالى ألقى شبهه على إنسان آخر، وهذا أيضا فيه وجوه:

الأوّل: أنّ اليهود لمّا علموا أنّه حاضرٌ في البيت الفلاني مع أصحابه أمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يُقال له طيطايوس أن يدخل على عيسى عليه السّلام ويُخرجه ليقتله، فلمّا دخل عليه، أخرج الله عيسى عليه السّلام من سقف البيت، وألقى على ذلك الرّجل شبه عيسى فظنّوه هو فصلبوه وقتلوه.

الثّاني: وكّلوا بعيسى رجلا يحرسه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورُفع إلى السّماء، وألقى الله شبهه على ذلك الرّقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى.

الثّالث: أنّ اليهود لمّا همُّوا بأخذه وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنّة بأن يُلقَى عليه شبهي؟ فقال واحد منهم: أنا، فألقى الله شبه عيسى عليه فأُخرج وقُتل،

ورفع الله عيسى عليه السّلام.

الرابع: كان رجلٌ يَدّعي أنّه من أصحاب عيسى عليه السّلام، وكان منافقا، فذهب إلى اليهود ودلّهم عليهم، فلمّا دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقُتل وصُلب[55].

وبالرّغم من الاختلاف البيّن الموجود بين جميع هذه الوجوه التي أوردها الرّازي في تفسيره بخصوص آية الصّلب والقتل، إلا أنّها كلّها تتّفق على أنّ المسيح عليه السّلام لم يمسسه صلْبٌ ولا قتل، بل إنّ واحدا غيره هو الذي وقعت عليه هذه الأمور، ونجّا الله عيسى عليه السّلام من كيد اليهود الحاقدين عليه الكافرين برسالته.

وقد أُختلف فيمن أُلقِي عليه الشّبه اختلافًا كثيرا، فقيل: اليهودي الذي دلّ عليه، وقيل: خليفة قيصر الذي كان محبوسًا عنده، وقيل: واحدا من اليهود، وقيل: مَن دخل ليقتله، وقيل: رقيب وكّلته به اليهود، وقيل: ألقى الشّبه على كلّ الحواريين، وقيل: ألقى الشّبه على الوجه دون البدن[56].

وفي هذا الشّأن ذكر الرّازي اختلاف فِرَق النّصارى حول الجزء المصلوب من عيسى عليه السّلام، فقال[57]: "...إلاّ أنّ كبار فِرق النّصارى ثلاثة: النّسطوريّة[58]، والمَلْكَانيّة[59]، واليعقوبيّة[60].

أمّا النّسطوريّة: فقد زعموا أنّ المسيح صُلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول، قالوا: لأنّه ثبت أنّ الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إمّا جسم شريف منسابٌ في هذا البدن، وإمّا جوهر روحاني مجرّد في ذاته وهو مدبّر في هذا البدن، والقتل إنّما ورد على هذا الهيكل، وأمّا النّفس التي هي في الحقيقة عيسى عليه السّلام فالقتل ما ورد عليها.

وأمّا الملكانيّة فقالوا: القتل والصّلب وصلا إلى اللاّهوت بالإحساس والشّعور لا بالمباشرة.

وقالت اليعقوبيّة: القتل والصّلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولّد من جوهرْين.

وتُخبرنا هذه الآيات: أنّ اليهود لم يصلبوا المسيح عليه السّلام صلبا يقينًا أو متيقّنين أنّه هو بعينه؛ لأنّهم لم يكونوا يعرفونه حقّ المعرفة، والأناجيل المعتمدة عند المسيحيين تُصرّح بأنّ الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الأسخريوطي وأنّه جعل لهم علامة أنّ مَن قبّله يكون هو يسوع المسيح، فلمّا قبّله قبضوا عليه، وأمّا إنجيل برنابا فيصّرح بأنّ الجنود أخذوا يهوذا الأسخريوطي نفسه ظنّا منهم أنّه المسيح لأنّه ألقى عليه شبهه، فالذي لا خلاف فيه هو أنّ الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينيّة، وقيل إنّ الضّمير في قوله تعالى: " وما قتلوه يقينا " للعلم الذي نفاه عنهم؛ والمعنى: ما لهم به من علم لكنّهم يتّبعون الظّنّ وما قتلوا العلم يقينا وتثبّتا به بل رضوا بتلك الظّنون التي يتخبّطون فيها[61].

وتعزيزًا لنفي حادثة الصّلب عن المسيح عليه السّلام، بشّر الله عزّ وجلّ نبيّه عيسى بالرّفع

إليه وتطهيره القوم الكافرين، نصرة وحماية له من كيدهم، وإكراما لشخصه الكريم، وتبجيلا ورفعة لقدره، وتثبيتا لقلبه على الصّراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون ﴾[62]. ففي هذه الآية بشارة بإنجائه من مكرهم وجعل كيدهم في نحرهم قد تحقّقت، ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة، والتّوفّي في اللّغة أخذ الشّيء وافيا تماما، ومن ثمّ أُستعمل بمعنى الإماتة، والمتبادر في الآية: أنّي مميتُك، وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي، كما قال في إدريس عليه السّلام، وأمّا تطهيره من الذين كفروا فهو إنجاؤه ممّا كانوا يرمونه به أو يرومونه منه ويريدونه به من الشّرّ[63].

وقال بعض المفسّرين:"إنّي متوفّيك"؛ أي منوّمك، وعند بعضهم: إنّي قابضك من الأرض بروحك وجسدك، و"رافعك إليّ" بيان لهذا التّوفّي، وبعضهم؛ إنّي أُنجّيك من هؤلاء المعتدين، فلا يتمكّنون من قتلك، وأُميتك حتف أنفك، ثمّ أرفعُك إليّ، ونُسب هذا القول إلى الجمهور، وللعلماء ههنا طريقتان: إحداهما وهي المشهورة أنّه رُفع حيًّا بجسمه وروحه، وأنّه سينزل في آخر الزّمان فيحكم بين النّاس بشريعة الإسلام ثمّ يتوفّاه الله تعالى، ولهم في حياته الثّانيّة على الأرض كلام طويل معروف، وأجاب هؤلاء عمّا يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التّوفّي، بأنّ الواو لا تُفيد ترتيبا، وفاتهم أنّ مخالفة التّرتيب في الذّكر للتّرتيب في الوجود لا يأتي في الكلام البليغ إلاّ لنكتة، ولا نكتة هنا لتقديم التّوفّي على الرّفع، إذ الرّفع هو الأهمّ لما فيه من البشارة بالنّجاة ورفعة المكانة.

والطّريقة الثّانيّة؛ أنّ الآية على ظاهرها، وأنّ التّوفّي على معناه الظّاهر المتبادر؛ وهو الإماتة العاديّة، وأنّ الرّفع يكون بعده؛ وهو رفع الرّوح، ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخصٍ وإرادة روحه، فإنّ الرّوح هي حقيقة الإنسان، والجسد كالثّوب المستعار، فإنّه يزيد وينقص ويتغيّر، والإنسان إنسان لأنّ روحه هي هي[64].

وجماع ذلك كلّه كأنّ الله عزّ وجلّ يقول لنبيّه عيسى عليه السّلام في هذه الآية: "يا عيسى إنّي مستوفي أجلك ومؤخّرك إلى أجلك المسمّى، عاصما إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الأرض، أو متوفّيك نائما؛ إذا رُوي أنّه رُفع نائما، أو مميتك عن الشّهوات العائقة عن العُرُوجِ إلى عالم الملكوت، وقيل أماته الله سبع ساعات ثمّ رفعه إلى السّماء، ورافعك إلى محلّ كرامتي ومقرّ ملائكتي، ومطهّرك من الذين كفروا من سوء جوارهم أو قصدهم، وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة بإعانتهم بالحجّة أو السّيف في غالب الأمر، ومتّبعوه مَنْ آمن بنبوّته من المسلمين والنّصارى، ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدّين[65].

وفي هذا تفنيد لزعم اليهود في قتل المسيح عليه السّلام، ودحض لمعتقد المسيحيين في صلبه،

إذ إنّ الله عزّ وجلّ أزاح عن نبيّه النّهاية بالقتل والصّلب، وأثبت له التّوفّي والرّفع إلى السّماء، ليكون له نجاة من أعدائه ونصرة عليهم، وبالجملة فإنّ القرآن الكريم لا يقرّ بعقيدة الصّلب ولا يقول بها، بل إنّ موقفه منها الرّفض والدّحض والتّفنيد وعدم الاعتراف بها نهائيّا؛ لأنّها لا تتوافق مع نهاية المسيح عليه السّلام المألوفة الواردة في آياته وسوره.

خامسا- **نقد عقيدة الخلاص الفداء:** الخلاص والفداء وجهان لعملة واحدة، إذ إنّ عقيدة الفداء هي من العقائد الأساسيّة التي تتبنّاها الدّيانة المسيحيّة القائمة على الخلاص، وتوضيح هذا التّقاطع والتّرابط بين المصطلحيْن؛ أنّ المسيح عليه السّلام اِفتدى بنفسه البشريّة ليخلّصها من الخطيئة الموروثة، وتأتي هذه العقيدة تبعا لعقيدة الصّلب؛ ذلك أنّ الصّلب هو الحادثة الممهّدة للفداء والخلاص عند المسيحيين، وبعبارة أدقّ، نقول إنّ الفداء أو الخلاص هو نتيجة للصّلب، وهما عقيدتان لا تنفكّان ولا تنفصلان عن بعضهما، فكلُّ واحدة منهما متمّمة للأخرى؛ لذلك لا يمكن الحديث عن الصّلب دون التّطرّق للفداء والعكس صحيح.

1- مفهوم عقيدة الخلاص والفداء:

أ- تعريف الخلاص: "الخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطيئة ومرضها وسلطانها واستعبادها نفسًا وروحًا وجسدًا، والأخذ بيده حتّى يقف أمام الله في كمال البرّ والقداسة والمجد والعزّة والبهاء إلى أبد الآبدين"[66].

والخلاص في المفهوم المسيحي يقوم أساسا على الفداء، إذ هو الحقيقة العلميّة لرفع الخطيئة كدَيْن وكفساد عن الجنس البشري، وأيّة نظريّة لا تقوم على هذين الوضعيْن تعتبر نظريّة باطلة وغير سليمة، والطّريق الوحيد لنيْل الخلاص وإقامة علاقة صحيحة مع الله هو الإيمان القلبي بما قدّمه "يسوع المخلّص" المسيح على الصّليب، ليخلّص شعبه من الموت والهلاك الأبدي نتيجة الخطيئة الأولى التي دخلت إلى العالم، وهذا الخلاص لم يكن أمرًا طارئا، بل هو ترتيب إلهيّ أزليّ، فمن آمن واعتمد خُلّص وكان من المباركين، ومَن لم يؤمن يُدَنْ[67].

ب - تعريف الفداء: الفداء عند المسيحيين؛ هو اعتقادهم أنّ المسيح عليه السّلام هو الذي اِفتدى النّاس بدمه، إذ قدّم نفسه ذبيحة تخليصا لهم من خطاياهم، وهو الذي أتمّ وأكمل الفداء وقام به، لأنّه عليه السّلام طاهرٌ من الخطيئة فأرسله الله لفداء العالم؛ إذ قدّم نفسه لتحرير كلّ قيد، وافتداءِ جميع مَن كانوا تحت رقّ عبوديّة خطيئة آدم عليه السّلام التي اِنتقلت إلى أبنائه بالوراثة، بشرطِ أن يقبل الخاطئُ الفاديَ ويؤمن به، حينئذ يتمتّع كلّ إنسان ببركات الخلاص العجيب الذي أعدّه الله على الصّليب، فيعود الإنسان إلى الله ثانيّة[68].

وعقيدة المسيحيين في الخلاص والفداء تقوم على أنّ الخطيئة التي وقعت في الجنّة لا يُمكن تكفيرها

إلاّ بموت ابن الله عزّ وجلّ المسيح عليه السّلام على الصّليب، ولا تُغفر إلاّ بدم يُراق لأجل تقبّل الله جلّ جلاله الإنسان مرّة ثانيّة، لتتمّ المصالحة بين الإنسان وبين الله، ولتتمّ البركة على كلّ مؤمن آمن بتقديم المسيح عليه السّلام نفسه لأجل خلاص النّاس من الخطايا، ولا يتمّ هذا الخلاص إلاّ بالإيمان بأنّ هذا الخلاص مُقدَّمٌ من الله لأجل الإنسان، الذي ضحّى بابنه الوحيد لخلاصهم من الآثام ومباركتهم بالرّحمة، وبيان قداسته وعدله، وقد حدث هذا الأمر بتنظيم وترتيب أزلي[69].

ج – أدلّة المسيحيين على عقيدة الخلاص والفِداء: يستدلّ المسيحيون على هذه العقيدة بعدّة نصوص وردت في العهد الجديد نذكر منها:

– ما ذكره بولس في رسالته إلى أهل روميّة: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ واحِدٍ دَخلتْ الخطيئةُ إلى العَالِمِ، وبالخطِيّةِ الموتُ، وهكذا اِجْتاز الموت إلى جَمِيعِ النّاس، إذ أخطأ الجميعُ،...فَإِذًا كَمَا بِخطيّة واحدة صار الحكم إلى جميع النّاس للدّينونة، هكذَا بِبِرٍّ واحدٍ صارتْ الهِبَةُ إِلَى جَميع النَّاس، لتبرِيرِ الحياة. لأنّه كما بمعصيَّةِ الإنْسانِ الواحد جُعِلَ الكثيرون خُطاة، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيُجْعَل الكثيرون أبرارًا ﴾[70].

يقول يوحنّا ذهبي الفمّ معلّقا عن هذه الفقرة الإنجيليّة: "لقد أظهر الرّبّ أنّ الخطيئة بدأت بالإنسان الأوّل، وتملّك الموت غالبا إيّاه، وقد صار الكلّ مخطئين وإن لم يسقطوا في ذات المعصيّة، فأصبحت الخطيئة منتشرة في الطّبيعة البشريّة لكنّها غير مكتشفة حتّى جاء النّاموس، فظهرت بعصيان الإنسان لوصايا معيّنة، فإنّه حتّى النّاموس كانت الخطيئة في العالم، على أنّ الخطيئة لا تحسب إن لم يكن ناموس، دبّت بذار الموت مع الخطيئة منذ آدم، لكنّ الموت لم يكن ثمرة عصيان للنّاموس، بل ثمرة عصيان أبينا آدم، ملك الموت على الذين لم يخطئوا بعصيان النّاموس إنّما خلال شبه تعدّي آدم"[71].

– وجاء فيها أيضا: [...اللهُ الذي مَا بخل بابنه، بل أَسْلمُهُ إلى الموت مِنْ أَجْلِنَا جَمِيعًا...][72].

– وجاء فيها كذلك: [مَاتَ المسيح من أجل الخاطِئِينَ في الوقْتِ الذي حدّده الله...ولكِنَّ الله بَرْهنَ عن محبّته لنا بِأَنَّ المسيح مات من أجلنا ونحن بعدُ خاطئون][73].

– وقال بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: [أَنَّ المسيح مَاتَ مِن أَجْلِ خَطَايانا حسب الكُتُب][74].

– وجاء في إنجيل مرقس: [لأنّ ابْن الإنسان أيضا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ ولِيَبْذِلَ نفسهُ فِدْيةً عن كثيرين][75].

– وجاء في إنجيل يوحنّا: [لأنّه لم يُرسِلْ الله ابْنَه إلى العالم لِيَدِينَ العالِم، بل لِيَخْلُصَ بِهِ العالِم][76].

– وجاء فيه أيضا: [أنَا هو الرَّاعي الصّالح، والرَّاعي الصّالح يبْذُلُ نفسه عنِ الخِرافِ][77].

وجميع هذه النّصوص تتّفق على أنّ المسيح عليه السّلام قدّم نفسه وضحّى ببدنه لأجل الشّعب الذي أصبح ممزوجا بالخطيئة التي إرتكبها آدم أبو البشر، والتي إنتقلت إليهم عن طريق الوراثة، وهذا المعتقد هو عصب الدّيانة المسيحيّة وأساسها الذي تقوم عليه وتستند إليه، والذي يبدو غريبا من النّاحيّة العقديّة والعقليّة والواقعيّة، إذ كيف تنتقل خطيئة إنسان إلى إنسانٍ آخر بريء، أو كيف يموت إنسان من أجل إنسان آخر، ويقدّم نفسه تضحيّة من أجله؟

2- **الخلاص والفداء في ميزان القرآن:** إنّ صعوبة إقرار العقل الإنسانيّ بوراثة الخطيئة بين البشر، وعدم اِسْتِسَاغَتِهِ لانتقالها من شخص لآخر، وامتناع اعترافه بموت شخص في سبيل إنقاذ شخصٍ آخر من النّاحيّة الميتافيزيقيّة، وصعوبة فهم المسيحيين في نظريّة الخلاص والفداء لمخالفتها للمعقول الفطريّ المتعارف عليه، ولعدم توافقها مع معادلة الحقّ القائمة على العدل والقسط، كل ذلك اِستدعى من القرآن الكريم الوقوف في وجه هذه العقيدة غير المنطقيّة، ففنّدها وانتقدها نقدًا لاذعا لا يدع مجالا أو يفتح بابًا للقول بها أو اعتقادها.

وفي طريقه إلى نقدها، سلك القرآن الكريم مسلكين اثنيْن؛ تمثّل الأوّل في بيانه لتوبة آدم عليه السّلام من الخطيئة التي اِرتكبها، وتمثّل الثّاني في بيانه لفرديّة المسؤوليّة وتحمّل كلّ إنسان لنتيجة أفعاله.

فأمّا المسلك الأوّل؛ فقد بيّن فيه الله عزّ وجلّ أنّ خطيئة آدم عليه السّلام التي ارتكبها في الجنّة والمتمثّلة في الأكل من الشّجرة التي نهاه الله عن الأكل منها قاصرة عليه، وأنّه تاب منها توبة نصوحا، وذلك في عدّة آيات من القرآن الكريم.

ففي هذا السّياق مَنَّ الله عزّ وجلّ على آدم عليه السّلام بأن خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنّة، وحذّره من الأكل من الشّجرة، على سبيل الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُلا مِنْهَا رَغَدا حَيْثُ شِئْتُمَا ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[78]، وبدأ الصّراع بين آدم عليه السّلام والشّيطان، فتمكّن الشّيطان من الوسوسة لآدم بهدف إخراجه من الجنّة حسدًا، فزيّن له أن يأكل من ثمرة تلك الشّجرة التي نهاه الله عزّ وجلّ أن يأكل منها، وأقسم له ولحوّاء زوجته أنّه لهما من النّاصحين، حتّى أكلا منها، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى. فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا. وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[79]، ونتيجة لهذه المعصيّة أُهبط آدم عليه السّلام وزوجه إلى الأرض بأمر من الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ اِهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[80]، ثمّ يحسم القرآن قضيّة الخطيئة في صراحة وأسلوبٍ قاطعٍ، لا يدع مجالا للاجتهادات الفرديّة، أو التّخمينات العشوائيّة، وبدون صلْبٍ أو قتْلٍ أو إراقة دم، ولم يحكم عليه باللّعنة والخلود في الجحيم، فأعلن آدم عليه السّلام وزوجه النّدم واعترفا بمعصيتهما، قال تعالى: ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا

أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[81]، وبعد هذا النّدم والاعتراف بالخطيئة وإعلان التّوبة ألهم الله عزّ وجلّ آدم التّوبة التي تُزيل الذّنوب والآثام، وتُعيد العلاقة من جديد مع الله، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[82]، فالأمر بسيط ويسير، ولا يحتاج إلى أن يتخلّى الله عزّ وجلّ عن ابنه ليُصلَب بسبب خطيئة لم يرتكبها وغفرها الله لمرتكبها، حتّى رفعه إلى مكانه في علّيين، واصطفاه بالمنزلة السّاميّة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وهَدَى ﴾[83]، فأهبطه الله عزّ وجلّ إلى الأرض مغفورًا له ولزوجته دون خطيئة تلاحقهما، ولا ذنب يؤرّقهما[84]، ومن ذلك الحين زالت هذه الخطيئة من الوجود ولم يبق لها أثر يُذكر، فلم تلتصق بأحد من ذرّية آدم عليه السّلام ولم يرثها عنه أيّ واحد منهم كما يدّعي المسيحيون.

وأمّا المسلك الثّاني؛ فقد أثبت فيه المولى عزّ وجلّ في القرآن الكريم أنّ المسؤوليّة فرديّة، وأنّه لا يمكن لأحد من النّاس أن يحمل عن أخيه الإنسان أوزاره وخطاياه مهما كانت صلته به، فكلٌّ مُحاسبٌ على ما ارتكبه من الذّنوب والخطايا، أو مُجازى على ما قدّمه من أعمال الخير والبرّ، وهذا كلّه إنّما يخضع لميزان الله العادل، والقانون الرّبّاني القائم على العدل والمساواة بين النّاس واحترام الواجبات والحقوق.

ولتقرير هذا المسلك نجد في القرآن الكريم عدّة آيات تُبيّن أنّ منطق الحساب والعقاب والمجازاة وتكفير الخطايا إنّما يستند على نوعيّة العمل المُقدّم من قبل الفرد، فمن غير المعقول أنّ تُعذّب نفسٌ بذنوب غيرها أو أن يحمل الأب خطيئة ابنه، منها قوله تعالى: ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[85]، وقد بيّنت هذه الآية أنّ كلّ نفسٍ ظلمت نفسها بكفرٍ أو شيء من الذّنوب فإنّما عليها وِزرُها يوم القيامة، لا يحمله عنها أحدٌ ولو كان قريبا إليها، حتّى ولو كان أباها أو ابنها، ولا يجني جانٍ إلاّ على نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾[86]، فالجار يتعلّق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا ربِّ سلْ هذا، لِمَ كان يُغلق بابه دوني؟ وإنّ الكافر ليتعلّق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إنّ لي عندك يدًا، قد عرفت كيف كنت لك في الدّنيا؟ وقد اِحتجت لك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربّه حتّى يردّه إلى منزل دون منزله، وهو في النّار، وإنّ الوالد ليتعلّق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بنيّ، أيّ والدٍ كنت لك؟ فيثني خيرا، فيقول له: يا بنيّ إنّي قد اِحتجت إلى مثقال ذرّة من حسناتك أنجو بها ممّا ترى، فيقول له ولده: يا أبتِ ما أيسر ما طلبتَ، ولكنّي أتخوّف مثل ما تتخوّف، فلا أستطيع أن أُعطيك شيئا، ثمّ يتعلّق بزوجته، فيقول: يا فلانة أو يا هذه، أيّ زوجٍ كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها: إنّي أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها لي، لعلّي أنجو بها ممّا ترين، فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكنّي لا أُطيق أن أُعطيك شيئا، إنّي أتخوّف مثل الذي تتخوّف[87]، ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم واخْشَوا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا...﴾[88].

ثمّ يقرّر الله مبدأ تحمّل النّتائج، فكلُّ نفس هي مسؤولة عمّا اِرتكبت، وهذا مُنتهى العدل، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ومَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[89]، فالذي يقدّم عملا صالحًا فإنّما يكون له نفعه وثوابه في الدّنيا والآخرة، والذي قدّم عملا سيئا فإنّما يكون عليه ضرره وعقابه في الدّنيا والآخرة، وفي هذا حثٌّ على فعل الخير وترك الشّرّ، وانتفاع العاملين بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السّيّئة، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يُحمّل الله عزّ وجلّ أحدًا فوق سيّئاته[90]؛ لأنّ في ذلك ظلم له وإجحافٌ في حقّه، وفي هذا دليل على فساد معتقد المسيحيين في الخلاص والفداء؛ لأنّ ذلك يترتّب عليه نجاة أشخاص وفوزهم بدون تقديم أيّ عمل يستحقّ النّجاة والفوز، وتعذيب آخرين بدون ذنوبٍ اقترفوها، وحملهم لأوزارٍ لم تتعلّق برقابهم، ومن هنا أبطل القرآن الكريم هذه العقيدة المجحفة في حقّ الكثيرين من النّاس؛ لأنّها لا تقوم على أساس من العدل والمساواة، بل على أساسٍ من الحيف والجور.

سادسًا ـ نقد عقيدة القيامة: عقيدة القيامة هي عقيدة أخرى من العقائد المسيحيّة التي لم تسلم من النّقد القرآني المتعرّض لتلك العقائد الباطلة التي تخالف العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة، وهي أيضا كغيرها من أخواتها تتعلّق تعلّقًا مباشرا بشخصيّة السّيّد المسيح عليه السّلام.

1- مفهوم عقيدة القيامة: والمقصود بها اعتقاد المسيحيين أنّ المسيح عيسى عليه السّلام قد قام من الموت وانتصر عليه بعد أن صُلب ومات، وحدث ذلك بعد دفنه في قبره بثلاثة أيّام[91].

وتحتلّ هذه العقيدة منزلة رفيعة بالنّسبة للعقائد المسيحيّة الأخرى؛ إذ بها انتصر يسوع المسيح على الموت، وبقدر ما أخذت مسألة الصّلب في الدّيانة المسيحيّة من أهمّيّة، أخذت القيامة من الموت الأهمّيّة الأكبر فيها، حيث تأسّست عليها قضايا عقديّة غاية في الحساسيّة، وغاية في الخطورة، والسّبب في ذلك ربط هذه الحادثة بألوهيّة المسيح، وما يترتّب على ذلك من رؤى عقديّة وفلسفيّة مسيحيّة[92]. ونظرا لذلك اتّخذ المسيحيون من ذكرى هذه الحادثة التي حدثت يوم الأحد عيدًا أسبوعيّا لاستذكار قيامة يسوع المسيح.

2- إبطال القرآن لعقيدة القيامة: لم يرد في القرآن الكريم نقدٌ صريح لعقيدة القيامة عند المسيحيين، وإنّما يمكننا استخلاص ذلك من النّقد الموجّه لعقيدة الصّلب، وقد عرفنا فيما سبق من صفحات أنّ الله عزّ وجلّ قد أبطل عقيدة الصّلب، وفنّد موت المسيح عليه السّلام على الصّليب، وردّ اِفتراء اليهود المزعوم في قتله.

وبناء على ذلك، فإنّ القرآن الكريم لا يُقرّ أصلا بعقيدة القيامة ولا يقول بها؛ لأنّه أبطل مقدّماتها والأسباب المؤدّية إليها من تعذيب وصلب وقتل، فإذا كان المسيح عليه السّلام لم يُقتل ولم يُصلب ولم يمتْ على أيدي اليهود فممّا تكون قيامته؟ خاصّة وأنّ المسيحيين يعتقدون أنّ

قيامته كانت بعد قتله وموته، إنّ ذلك في نظر هذا الكتاب العزيز زعمٌ لا يقوم على دليل واحد، ولا يستند إلى حجّة دامغة تثبتُ وُجوده كحادثة تاريخيّة حدثت بالفعل.

لذلك لم يُفرِد كتاب الله عزّ وجلّ نقدا خاصًّا بهذه العقيدة؛ لأنّ نقدها متضمّن في نقد عقيدة الصّلب، الذي أُبطِل بطريقة مباشر في بعض الآيات، وهذا ما نستشفّ منه أنّ القرآن الكريم لا يعترف أصلاً بعقيدة القيامة المسيحيّة، وما سُكُوتُه عنها وعدم إيلائها أيّ اهتمام وتجاهلها إلا تصغيرا من شأنها واحتقارًا لها، فالقرآن لا يلتفت إلى صغائر الأمور التي تُعدّ من السّفاسف والأقاويل الباطلة؛ لأنّه كتاب عظيم عِظم الله عزّ وجلّ، وعِظم الذي أُنزل على قلبه محمّد رسول الله عليه الصّلاة والسّلام.

الخاتمة

بعد عرضنا للنّقد القرآني الموجّه للعقائد المسيحيّة في هذه الجولة المختصرة، نستخلص أنّ القرآن الكريم قد تنوّعت انتقاداته لتلك العقائد، فتراوحت بين الإفاضة والاختصار، والمباشرة والإشارة من بعيد، فعند حديثه عن عقيدة الألوهيّة في الدّيانة المسيحيّة شدّد على المسيحيين اعتقادهم فيها، وانتقدهم كثيرًا في حيثياتها؛ لأنّها مسألة محوريّة في جميع الأديان السّماويّة، وعلى أساسها تتحدّد معالم الدّين، وبها يفرّق بين الإيمان والكفر، وتكلّم عن مسألة الصّلب بشكل مختصر مكتفيًا بدحض وتفنيد شبهة صلب المسيح عليه السّلام وقتله، ولم يتحدّث القرآن الكريم عن عقيدة الصّلب والفداء لدى المسيحيين، بل راح يُبيّن ويُقرّر أن المسؤليّة فرديّة، وأنّ كلّ إنسان يتحمل عاقبة أفعاله، ردًّا عليهم بخصوص هذه العقيدة لكن بطريقة غير مباشرة، وأمّا عقيدة القيامة فلم يُشِر الله عزّ وجلّ إليها للأسباب التي ذكرناها سابقا.

وفي الجملة، نستطيع القول بأنّ القرآن الكريم وظّف كثيرًا من آياته في سبيل نقد العقائد الدّينيّة المخالفة لعقائد الدّين الإسلامي، وخاصّة عقائد المسيحيين الذين كانوا يُجاورون المسلمين في المدينة المنوّرة؛ لمخالفتها بصورة صريحة للعقائد الإسلاميّة، فقرّعهم وشدّد عليهم في شأنها، تذكيرًا لهم برسالة المسيح الحقّة والتي تتوافق في جوهرها العامّ مع رسالة النّبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم.

الهوامش والإحالات:

1 – المائدة: 82.

2 – عمر سليمان عبد الله الأشقر: العقيدة في الله، دط، دار النّفائس، الأردن، دار السّلام، مصر، 1433هـ/2012م، ص11.

3 – أندراوس واطسون وآخرون: شرح أصول الإيمان، ط4، دار الثّقافة المسيحيّة، القاهرة، ص21.

4 – آل عمران: 19.

5 – آل عمران: 85.

6 – الأنعام: 153.

7 – أحمد حجازي السّقّا: أقانيم النّصارى-بيان ونقد-، ط1، مكتبة النّافذة، الجيزة، مصر، 2006، ص37-39.
8 – محمّد أحمد الحاج: النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث، ط1، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، 1413هـ/1992م، ص219.
9 – متّى: 28/ 19- 20.
10 – لوقا: 1/ 35.
11 – يوحنّا الأولى: 5/ 7.
12 – محمّد أحمد الحاج: المرجع السّابق، ص219.
13 – أحمد حجازي السّقّا: الله وصفاته في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ط2، مكتبة النّافذة، مصر، 2006م، ص87.
14 – منقذ بن محمود السّقّار: الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة، ط1، مكتبة النّافذة، الجيزة، مصر، 2006م، ص15.
15 – أحمد حجازي السّقّا: الله وصفاته في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، المرجع السّابق، ص88.
16 – المرجع نفسه والصّفحة نفسها.
17 – المائدة: 73-74.
18 – أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ/2000م، ص639.
19 – النّساء: 171.
20 – ابن كثير: المصدر السّابق، ص565.
21 – الأنعام: 101.
22 – الإخلاص: 03.
23 – المؤمنون: 91.
24 – الزّخرف: 81.
25 – التّوبة: 30.
26 – المائدة: 72.
27– عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي: تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، ط1، مكتبة العبيكان، الرّياض، السّعوديّة، 1422هـ/ 2001م، ص240.
28 – المائدة: 116-117.
29 – الزّخرف: 59.
30 – المائدة: 75.
31 – الصّفّ: 06.
32 – آل عمران: 49.
33 – النّساء: 172.
34 – مريم: 30.
35 – ابن كثير: المصدر السّابق، ص1186.
36 – النّحل: 102.
37 – البقرة: 97.
38 – الإخلاص: 01.
39 – الأنبياء: 25.
40 – الأنبياء: 21-22.
41 – البقرة: 163.
42 – انظر سورة الأعراف الآيات: 59، 65، 73، 85.

43 – انظر سورة الحشر الآيتان: 22، 23.
44 – الشّورى: 13.
45– محمّد أبو زهرة: العقيدة الإسلاميّة كما جاء بها القرآن الكريم، الكتاب الثّاني ضمن سلسلة البحوث الإسلاميّة، دط، مجمع البحوث الإسلاميّة، مصر، 1389هـ/1969م، ص18–19.
46 – المرجع نفسه، ص20.
47 – متّى: 20/ 9–13.
48 – هاشم جودة: العقائد المسيحيّة بين القرآن والعقل، دط، مطبعة الأمانة، مصر، 1400هـ/1980م، ص182–183.
49– انظر قصّة الصّلب في إنجيل متّى: 27/ 32–66، وإنجيل مرقس: 15/ 21–47، وإنجيل لوقا: 23/ 26– 56، وإنجيل يوحنّا: 19/ 17–42، وملخّصها: " أنّ المسيح عليه السّلام طلبه اليهود ليقتلوه؛ لأنّه لم يحقّق لهم رغباتهم، فدلّهم على مكانه أحد أتباعه وهو يهوذا الأسخريوطي، بعد أن أغروْه بالمال، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان فرغ من صلاة طويلة تضرّع وتوسّل فيها إلى الله عزّ وجلّ أن لا يُذيقه هذه الكأس، ثمّ ساقوه إلى دار رئيس الكهنة الذي تحقّق من أنّه مستحقٌّ للقتل، ثمّ حُمِل إلى دار الوالي الرّوماني بيلاطس الذي حكم عليه بالصّلب بناء على رغبة اليهود الذين اتّهموه تهما باطلة، فصُلب في السّاعة الثّالثة من صباح يوم الجمعة، ومات على الصّليب في حدود السّاعة التّاسعة مساء؛ أي وقت العصر، بعد أن صاح بأعلى صوته قائلا: "إيلي إيلي لماذا شبقتني؛ أي إلهي إلهي لماذا تركتني "، ثمّ أُنزل من الصّليب في تلك اللّيلة وأُدخِل قبرا بقي فيه تلك الليلة ثمّ نهار السّبت ثمّ ليلة الأحد" (سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهوديّة والنّصرانيّة، ط1، أضواء السّلف، الرّياض السّعوديّة، 1418هـ/1997م، ص227).
50 – منسّى يوحنّا: يسوع المصلوب، دط، دار المحبّة، دم، دت، ص185.
51 – المرجع نفسه والصّفحة نفسها.
52 – منقذ بن محمود السّقار: هل افتدانا المسيح على الصّليب، ص22.
53 – النّساء: 157–159.
54 – أبو حيّان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص552.
55 – فخر الدّين الرّازي: التّفسير الكبير، ط1، دار الفكر، بيروت 1401هـ/1981م، ج11، ص101–102.
56 – أبو حيان الأندلسي: المصدر السّابق، ج3، ص552.
57 – فخر الدّين الرّازي: المصدر السّابق، ج11، ص102–103.
58– نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك الإسكندريّة عام (431م)، ويقال له نسطور الحكيم، سكنوا الموصل وأرمينية، ونشروا المسيحية في إيران والهند والصّين، قالوا: إنّ الله تعالى واحدٌ، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذّات، ولا هي هو، واتّحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السّلام، لا عن طريق الامتزاج، ولا عن طريق الظّهور به، ولكن كإشراق الشّمس في كوّة على بلورة، وكظهور النّقش في الشّمع إذا طُبع بالخاتم. (عبد الكريم الشّهرستاني: الملل والنّحل، ت: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1432هـ/ 2011م، ص246).
59– نسبة إلى الملك، حيث أنّهم أيّدوا القرار الذي اتّخذه مجمع خلكيدونية عام (451م)، فلقّبوا بالملكيين ازدراءً بهم لوقوفهم في صفّ الملك مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم طائفة الكاثوليك، وقيل إنّهم سمّوا بالملكانيّة نسبة إلى شخص يُدعى: مَلْكَا، قالوا: إنّ الكلمة اتّحدت بجسد المسيح، وتدرّعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمُّون العلم قبل تدرّعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرّ عبه ابن، وقال بعضهم: إنّ الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن، وقالوا بأنّ المسيح ناسوت كلّي لا جزئي، وهو قديم أزلي. (الشّهرستاني: المصدر السّابق، ص244).
60– نسبة إلى يعقوب البراذعي، أسقف أنطاكية في القرن السّادس للميلاد، نُسبوا إليه لأنّه كان من أنشط الدّعاة إلى

المذهب، لا أنّه مبتدعه ومنشئه، حيث إنّ بطريرك الاسكندريّة سبق يعقوب إلى ذلك المذهب في منتصف القرن الخامس للميلاد، ويسمّون أيضا السّريان لتحدّثهم باللغة السّريانيّة، قالوا: بالأقانيم الثّلاثة، إلا أنّهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما؛ فصار الإله هو المسيح، وهو الظّاهر بجسده، بل هو هو، ومنهم طائفة الأرثوذكس،ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالنّاسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتّحاد الكلمة التي هي في حكم الصّفة، بل صار هو هو، وزعموا أنّ المسيح جوهر واحد ، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركّبا تركيبا كما تركّبت النفس والبدن، فصار جوهرا واحدا، أقنوما واحدا؛ وهو إنسان كلّه، وإله كلّه. (الشّهرستاني: المصدر السّابق، ص247-248).

61 – محمّد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، دار المنار، مصر، 1366هـ/ 1947م، ج6، ص20.

62 – آل عمران: 55.

63 – محمّد رشيد رضا: المصدر السّابق، ج3، ص316.

64 – المصدر نفسه، ج3، ص316-317.

65 – ناصر الدّين البيضاوي: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت ، دت، ج2، ص19.

66 – إلياس مقار: إيماني أو القضايا المسيحيّة الكبرى، ط3، دار الثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص388.

67 – المرجع نفسه، ص396، ومكرم نجيب: تأكيد الخلاص، دط، دار الثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص3.

68 – جيمس جراي: الخلاص من الألف إلى الياء، تعريب: مراد عزيز، دط، دار الخلاص، 1975م، ص25.

69- أشرف إبراهيم عليان سلامة: العقائد النّصرانيّة في القرآن الكريم -دراسة تحليليّة- (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلّية أصول الدّين، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، 1429هـ/ 2008م، ص174.

70 – روميّة: 5/ 13-20.

71 – أشرف إبراهيم عليان سلامة: المرجع السّابق، ص176.

72 – روميّة: 8/ 32.

73 – روميّة: 5/ 6-8.

74 – كورنثوس الأولى: 1/ 3.

75 – مرقس: 10/ 45.

76 – يوحنّا: 3/ 17.

77 – يوحنّا: 10/ 11.

78 – البقرة: 35.

79 – طه: 120-121.

80 – طه: 123.

81 – الأعراف: 23.

82 – البقرة: 37.

83 – طه: 121-122.

84- انظر: ابن جرير الطّبري: تاريخ الأمم والملوك، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ج1، ص71، ومحمّد عبد الرّحمن عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، دط، دار البشير، القاهرة، دت، ص77-78.

85 – الأنعام: 164.

86 – فاطر: 18.

87 – ابن كثير: المصدر السّابق، ص1553.

88 – لقمان: 33.

89 – فصّلت: 46.

90 – السّعدي: المرجع السّابق، ص751.

91– انظر قصّة القيامة وما يتعلّق بها من أحداث في إنجيل متّى: 28/ 1–20، وإنجيل مرقس: 16/ 1–20، وإنجيل لوقا: 24/ 1–53، وإنجيل يوحنّا: 20: 1–31، ولفظها في إنجيل متّى: [وبعد السّبت عند فجر أوّل الأسبوع جاءت مريم المجدليّة ومريم الأُخرى لتنظُرَا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأنّ ملاك الرّبّ نزل من السّماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، وكان منظرُه كالبرق ولباسُه أبيض كالثّلج، فمن خوفه اِرتعد الحرّاس وصاروا كأموات، فقال الملاك للمرأتين: "لا تخافا أنتما فإنّي أعلم أنّكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنّه قد قام كما قال، هلمّا أنظرا الموضع الذي كان الرّبّ مضطجعا فيه، واذهبا سريعا قُولا لتلاميذه إنّه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، ها أنا قد قلتُ لكما"، فخرجتا سريعا من القبر بخوفٍ وفرحٍ عظيم راكضتيْن لتُخبِرَا تلاميذه، وفيما هما منطلقتان لتُخبِرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال: "سلامٌ لكما"، فتقدّمتا وأمسكتا بقدميْه وسجدَتَا له، فقال لهما يسوع: "لا تخافا، اذهبا قُولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني"، وفيما هما ذاهبتان إذا قومٌ من الحرّاس جاءوا إلى المدينة وأخبرُوا رؤساء الكهنة بكلّ ما كان، فاجتمعوا مع الشّيوخ وتشاوروا وأعطوْا العسكر فضّة كثيرة قائلين: "قولوا إنّ تلاميذه أَتوْا ليلا وسرقوه ونحن نيام، وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنّين، فأخذوا الفضّة وفعلوا كما علّموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم، وأمّا الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولمّا رأوه سجدوا له ولكنّ بعضهم شكُّوا، فتقدّم يسوع وكلّمهم قائلا: "دُفِع إليّ كلُّ سلطانٍ في السّماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن والرّوح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدّهر " آمين].

92 – حسن الباش: العقيدة النّصرانيّة بين القرآن والأناجيل، ط1، دار قتيبة، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2001م، ج1، ص166.

Criticism Quranic for the religious faiths contrary to Islam «Christian faiths model»

Ismail ARIF *

Abstract:

This paper addresses the Christian doctrines and their credibility in the Koran, that it has criticized those beliefs by vitriolic manner, because it is contrary to Islam, which Allah has chosen for His believing slaves. for that, Koran relied on the mental arguments and sound logic. In this regard, Koran Kafr those who thought trinity of Christians. Also, those who believed that Jesus is God, and that he is the Son of God. Koran has decided the correct belief about that, it said that he is only human and messenger, and it has lied the Jews who alleged that they crucified and killed him. So, the Koran has criticized clearly Christian faiths.

Keywords: Koran, creed, Christianity, Islam, criticism.

* Institut des sciences islamiques - Université d'El-oued – Algérie.